

ابن خلدون والمسألة السكانية

د فوزية بلعجال جامعة سيدي بلعباس

تمهيد:

إن الظاهرة السكانية محل اهتمام العديد من المفكرين منذ القدم، فقد كانت آراءهم هي البداية التي أشارت للعلاقة المتواجدة بين السكان والاقتصاد. تركزت بحوثهم ودراساتهم حول محورين أساسيين: أسباب النمو السكاني من جهة و الآثار المترتبة على ذلك من جهة أخرى. فقد أولت المجتمعات القديمة أهمية كبيرة للإنجاب بهدف التعويض السكاني الناجم عن الحروب أو الأوبئة والمجاعات.

من أول المجتمعات التي أثارت الموضوع؛ اليونان القديمة، و من أبرز مفكريها أفلاطون الذي يعتبر أول من وضع قانون للسكان. كما أشار تلميذه أرسطو بدوره إلى المخاطر التي تنجم عن النمو السكاني غير محدود. وكذا الفيلسوف الهندي كوتيليا الذي تحدث أيضا عن العلاقة بين السكان والموارد المتاحة. وحتى الأباطرة في عهد الإمبراطورية الرومانية اهتموا بقضية السكان من جانب الإنجاب كضرورة لإحلال أعداد القتلى وتوفير اليد العاملة فقط.

أما في العصور الوسطى فقد ظهر ابن خلدون و طريقته المميزة في تحليله للظواهر، جعلته من أوائل العلماء الذين أعطوا أهمية لدراسة الظواهر السكانية أين وضح من خلال نصوص المقدمة أن كثافة السكان تساهم إلى حد كبير في تحسين الظروف الاقتصادية و بالتالي حسن استغلال الثروة الاجتماعية وتقسيم العمل.

ابن خلدون

يعد "ابن خلدون" عبقريّة عربية متميزة، فقد كان عالمًا موسوعيًا متعدد المعارف والعلوم، تناول قضية السكان في مؤلفه "مقدمة ابن خلدون" وقد تحدث عن مزايا النمو السكاني، فقد رأى أن النمو السكاني يخلق الحاجة إلى تخصص الوظائف وبدوره يؤدي إلى مداخل أعلى وهي الفكرة التي تناولها ادم سميث في تحدثه عن تقسيم العمل فيما بعد، كما أشار أيضا أن النمو السكاني يركز أساسا في المدن لأن سكانها ذات حجم أكثر و رفاهية اكبر من المناطق ذات الحجم السكاني الأقل والسبب الجوهري هو الاختلاف في طبيعة الوظائف التي تؤدي حسب كل منطقة، فلكل مدينة أسواق لأنواع مختلفة من الأعمال و كل سوق يستوعب من الإنفاق ما يتناسب مع حجمه. وسوف نتطرق لكل ذلك مستشهدين بنصوص المقدمة فيما يلي:

ولد "ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خالد (خلدون) الحضرمي" بتونس في [غرة رمضان 732هـ = 27 من مايو 1332م]، ونشأ في بيت علم ومجد عريق، فحفظ القرآن في وقت مبكر من طفولته، وقد كان أبوه هو معلمه الأول، كما درس على يد مشاهير علماء عصره، من علماء الأندلس الذين رحلوا إلى تونس بعدما ألم بها من الحوادث، فدرس القراءات وعلوم التفسير والحديث والفقه المالكي، والأصول

والتوحيد، كما درس علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب، ودرس كذلك علوم المنطق والفلسفة والطبيعية والرياضيات، وكان في جميع تلك العلوم مثار إعجاب أساتذته وشيوخه. (سمير حلبي)

ابن خلدون.. مؤسس علم الاجتماع يعد ابن خلدون المنشئ الأول لعلم الاجتماع، وتشهد مقدمته الشهيرة بريادته لهذا العلم، فقد عالج فيها ما يطلق عليه الآن "المظاهر الاجتماعية" - أو ما أطلق عليه هو "واقعات العمران البشري"، أو "أحوال الاجتماعي الإنساني".

وقد اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي أتيج له الاحتكاك بها، والحياة بين أهلها، وتعقب تلك الظواهر في تاريخ هذه الشعوب نفسها في العصور السابقة.

قد كان "ابن خلدون" - في بحوث مقدمته - سابقاً لعصره، وتأثر به عدد كبير من علماء الاجتماع الذين جاءوا من بعده مثل: الإيطالي "فيكو"، والألماني "ليسنج"، والفرنسي "فولتير"، كما تأثر به العلامة الفرنسي الشهير "جان جاك روسو" والعلامة الإنجليزي "مالتس" والعلامة الفرنسي "أوجست كانت".

ابن خلدون "وعلم التاريخ" تبدو أصالة ابن خلدون وتجديده في علم التاريخ واضحة في كتابه الضخم "العبر وديوان المبتدأ والخبر" وتتجلى فيه منهجيته العلمية وعقليته الناقدة والواعية، حيث انه استقرئ الأحداث التاريخية، بطريقة عقلية علمية، فيحققها ويستبعد منها ما يتبين له اختلاقه أو تفاهته.

ابن خلدون رائد فن الترجمة الذاتي كذلك، فإن ابن خلدون يعد رائداً لفن الترجمة الذاتية - الأوتوبوجرافيا - ويعد كتابه "التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً" - من المصادر الأولى لهذا الفن.

لقد كان ابن خلدون مثالا للعالم المجتهد والباحث المتقن، والرائد المجدد في العديد من العلوم والفنون، وترك بصمات واضحة لا على حضارة وتاريخ الإسلام فحسب، وإنما على الحضارة الإنسانية عامة، وما تزال مصنفاته وأفكاره نبراساً للباحثين والدارسين على مدى الأيام والعصور.

تعرض ابن خلدون للعلاقة بين عدد السكان والوضع الاقتصادي موضحاً أن عدد السكان الأمثل يؤدي لرفع المستوى المعيشي من خلال حسن استخدام الموارد الاقتصادية. و يمكن أيضاً الإشارة إلى أن المفكر العربي هو أول من عالج هذا الموضوع معالجة علمية ببحثه في عمران الدول و اتساعها و تأخرها و على هذا الأساس ربط كل ما سبق بنمو السكان و نقصهم. فقد ذكر ابن خلدون أن حجم الدولة و مجال توسعها و مدة بقاءها في علاقة مباشرة مع العدد من أولئك الذين أسسوها (W. M. Guckin : 1934, P 11)

إن العلامة الكبير ابن خلدون قد سبق عهده في تحليله الذي تعرض فيه لكافة الميادين، ومن بين هذه الميادين الجانب السكاني أو الديمغرافي. إن تحليل ابن خلدون

لم يعتمد على نظرية واضحة بخصوص القضايا السكانية لكنه تطرق لها من خلال العلاقة المتبادلة بين السكان و الموارد و أن مفهوم هذه العلاقة يتبع الظروف الاجتماعية و السياسية للمجتمع. (G. Caselli ,

J Vallin, G J. Wunsch: 2006, P. 23) ,

قد تحدث في المقدمة عن القوانين التي يسير عليها التزايد في النوع الإنساني، وبذلك سبق "مالتس" الاقتصادي الإنجليزي في نظريته التي اشتهر بها، وهي نظرية "تزايد السكان". وابن خلدون الذي كان قبل مالتس بأكثر من أربعمئة سنة قد تعرض لهذا النظرية، وإن لم يعن بتفصيل الحديث عن أجزائها، ووضع قانوناً محدداً لها، كما فعل مالتس. (علا ل البوزيدي : 7/2003)

مالتس من علماء الاقتصاد الإنجليزي، ولد سنة 1766م وتوفي سنة 1842م، ويعتد من المنشئين لعلم الديموغرافيا أو علم إحصاء السكان. اشتهر بمقالته عن مبادئ علم السكان سنة 1798م. وتقوم فكرته الأساسية على أن أعداد السكان في العالم تميل إلى الزيادة، بينما كميات الطعام تقل. واستخلص مالتس من دراساته لظاهرة التزايد في النوع الإنساني أن السكان يتزايدون كل خمس وعشرين سنة بنسبة متوالية هندسية (1، 2، 4، 8، 16، 32...)، إذا لم يوقف تزايدهم عائق خارجي. كما كان يعتقد أن الحروب والأمراض ستقتك بالأعداد الزائدة من البشر، ما لم يتم تحديد النسل. وظهر هذا الكتاب سنة 1803م. (G. MONTIGNY : 1997, p 157) .

يبني مالتس تحليله على مصادرتين أساسيتين:

الأولى: هي أن الغذاء ضروري لحياة الإنسان. الثانية: أن العاطفة بين الجنسين ضرورية.

يقول مالتوس في مقاله : " إنه بفرض أن المصادرتين قضية مسلم بها، فقدرة السكان هي أعظم بدرجة لا متناهية من قدرة الأرض على إنتاج وسائل العيش للإنسان، فالسكان يتزايدون بنسبة هندسية – إذا لم يحد من هذه الزيادة – بينما لا تزيد وسائل العيش إلا بنسبة حسابية – وبناء عليه، فإن المعرفة الطفيفة، بالأعداد لتبين ضخامة القوة الأولى مقارنة بالثانية" (رمزي زكي: 1984 ، ص25).

ان الإنسان لا يستطيع العيش دون وجود الطعام وأن قدرة الإنسان على التكاثر تتجاوز بكثير إمكانية زيادة الموارد الغذائية، وطبقا لفكرة المتوالية الهندسية فإن عدد السكان، من الناحية النظرية، يمكن أن يستمر في التزايد إلى ما لا نهاية ما لم يعرقل هذا التزايد موانع معينة، وكل ما استند إليه هو الإحصاءات التي كانت تعكس آثار الهجرة السكانية الكبيرة التي قام ها سكان أوروبا إليها دون أن يهتم بإثباته. (رمزي زكي: 1984 ، ص26).

يقول مالتوس : " بحكم قانون طبيعتنا هذا الذي يجعل الغذاء ضروريا لحياة الإنسان، فلا بد من الإبقاء على تساوي النتائج المترتبة على هاتين القدرتين غير المتساويتين، وهذا يتضمن عائقا قويا باستمرار منع زيادة السكان عن طريق صعوبة

العيش، وهذه الصعوبة يجب أن تحل في مكان ما، ولا بد حتما أن يشعر بها فريق كبير من الجنس البشري" (رمزي زكي : 1984 ، ص26).

وبذلك، فإن المشاكل التي يواجهها المجتمع من فقر وبطالة وسوء الأحوال المعيشية والصحة والجوع وانتشار الآفات والانحرافات الأخلاقية، نتيجة حتمية لقانون الطبيعة الأبدي مهما كانت الظروف التي يعيش فيها الإنسان، وهذه المشاكل لا صلة لأي نظام (بالتحديد النظام الرأسمالي)، ولا لأي طريقة في الحكم، بل الفقراء هم المسؤولون الأولون عن شقائهم وسوء أحوالهم، وذلك بتكاثرهم نتيجة سلوكهم الجنسي غير الموجه والمنظم وأهم مساعدة لهم في توعيتهم وتبصيرهم بقانون السكان، وبالنتائج المترتبة عن ذلك وعلى إثر هذه الرؤية اتخذ مالتوس اتجاها لمعالجة هذه المشكلة وذلك بطرح جملة من الحلول أهمها كان لا إنساني لتقليل التزايد السكاني، ولا يكون هذا التقليل إلا بفرض موانع معينة توفر التناسب بين الزيادة السكانية وبين الثروات الطبيعية.

أما من ناحية ابن خلدون فقد تطرق في مؤلفاته إلى تطور المجتمعات و فناءها والعوامل المؤدية إلى ذلك، وتطرق أيضا إلى الدور الذي تلعبه الكثرة والقلة في عدد السكان على استمرارية المجتمع وتطوره أو عكس ذلك. وبين أن العمران البشري يرتبط بقيمة التعاون وبالطبيعة الإنسانية في الاجتماع حيث يقول " الاجتماع ضروري للنوع الإنساني وإلا لم يكمل وجودهم وما أَرادَه الله من اَعْتِمَار العالم بهم واستخلافه إياهم وهذا هو معنى العمران " (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص43).

ويضيف ابن خلدون " فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه " (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 42)، لقد أظهر ابن خلدون ضرورة اجتماع الإنسان بأمثاله لان طبعه الغالب يميل إلى التعاون والتكاثف للتكامل مع بعض حيث أن استمرارية العنصر البشري وبقائه لا تكون إلا باجتماع عدد كبير من أبناء جنسه وتعاونهم في تحصيل قوتهم والدفاع عن بعضهم البعض، ويتضح لنا أهمية العدد في تكوين القوة للدفاع ولتوفير الغذاء وبذلك يضمن بقاءه ويحفظ النوع البشري.

لقد تحدث ابن خلدون في مقدمته عن ظهور العمران البشري وقد ربط ذلك بطبيعة الإنسان من جهة وبجوانب جغرافية كالإقليم والتربة من جهة أخرى. من خلال تعرضه لطبيعة الإنسان. وتحدث أيضا عن دور السكان في تطور المجتمع وذلك من خلال عرضه لمختلف المراحل التي يمر بها المجتمع. إن أسلوب الحياة البدوية أو الحضرية يتحدد بنوع المهنة التي تسود في المجتمع ونجد أن نوع المهنة هو الذي يحدد للمجتمع المكان الذي يعيش فيه (خميس طعم الله – المسألة الديمغرافية عند ابن خلدون). يقول ابن خلدون: "اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو

باختلاف نحلته من المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله" (المقدمة عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 120).

يعتبر ابن خلدون طور البداوة هو أول طور تمر به المجتمعات السكانية وعبر النمو الاقتصادي ينتقل إلى طور الحضارة وكي يتم ذلك لا بد من كثرة الصناعات بسبب زيادة السكان كما وضع ابن خلدون في مقولته "ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر..." (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 120).

فعند نشأة أية دولة و بداية تحولها إلى التحضر *Sédentarisation*، يكون المجتمع في طور النمو و الزيادة في عدد السكان، وبارتفاع الكثافة السكانية فان تقسيم العمل يسهل المهام و يرفع من المستوى المعيشي للأفراد و بالتالي يزيد من فاعلية المؤسسات السياسية، العسكرية و الاقتصادية. الزيادة الاقتصادية و الزيادة السكانية يؤديان بدورهما إلى ثراء الدولة، فتتقو الحكومة في فخ الرفاه و الجشع مما يؤدي إلى رفع الضرائب. و من هنا تبدأ مرحلة الانهيار. و بتقل الضرائب على الأفراد يفقدون الرغبة في الإنتاج. وبمحاوله الحفاظ على نفس المداخل الضريبية يزداد العبئ على المواطنين. مما يولد الأوضاع الرافضة و الثورات وتسوء الأوضاع في المجتمع تقل على إثرها الخصوبة و ترتفع نسبة الهجرة، بالإضافة إلى انتشار المجاعات و ارتفاع نسبة الوفيات (Caselli. J. Vallin.G. J. Wunsch : 2006. P. 23) (G).

إن تحدث ابن خلدون عن تقسيم العمل و تنبيهه إلى ضرورة الاهتمام بالصناعة في المجتمع الجديد و عدم اهتمامه بالفلاحة و تسمية محترفها بالمستضعفين و أيضا بأهل العفية. بهدف شد الانتباه إلى عدم الاعتماد على الزراعة فقط و إبراز ضرورة اعتماد المجتمع على النشاط الاقتصادي الخاص بالتجارة و الصناعة. كما أشار في حديثه عن تقسيم العمل و إشاعته التضامن في المجتمع الذي يكمل بعضه بعضا، فالكل ينتج و يختص فيه و مالا ينتجه يحصل عليه من إنتاج غيره المتقن. (محمد أبو عبيدة و عبد الحميد محمد شعبان، 2008، ص 76).

إن إشارته لتقسيم العمل في المجتمع من خلال اجتماع عدد من الأفراد بهدف التعاون لتوفير الغذاء والمستلزمات "فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل الحاجي والكمالي فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسه والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد إلى البدو لأنه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرا

ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدف إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه" (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 120).

"... ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة، وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم فقد تبين أن أجيال البدو والحضر طبيعية لا بد منها..." (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 121). تزايد السكان يؤدي إلى تقسيم العمل ويزيد في الإنتاج في المجتمع وبالتالي زيادة ارتفاع مداخيل الأفراد، ويزيد حجم الطلب نتيجة الإقبال على الاستهلاك للسلع فتتسبب بذلك صناعات جديدة مما يشجع على زيادة السكان، (خميس طعم الله، 2006).

يقول ابن خلدون أيضا : "... اعلم أن ما توفر عمرانهم من الأقطار وتعددت الأمم في جهاته وكثر ساكنه اتسعت أحوال أهله وكثرت أموالهم وأمصارهم وعظمت دولهم وممالكهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الأعمال..." (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 265). وبذلك فإنه يربط بين كثرة السكان وكثرة الأعمال، فكلما زاد عدد السكان وتنوعت الأعمال زاد الاختلاف بين مجتمع البدو و الحضر، وما يفرق بين المجتمعين هو اختلاف وحداته شكلا وحجما وكثافة، إذ يقول : "... إن كل واحد من البدو والحضر متفاوت الأحوال من جنسه فرب حي أعظم من حي و قبيلة أعظم من قبيلة ومصر أوسع من مصر ومدينة أكثر عمراناً من مدينة..." (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 121).

وبتحدثه عن النمو الاقتصادي ذكر: "... أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته..." (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 400). وأيضاً : "... وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنيق فيها حينئذ..." (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 401). يوضح من خلال ما سبق بأن النمو الاقتصادي للمجتمعات مرتبط بتطور العمران وتزايد السكان فيه، أما إذا انصرف المجتمع إلى غير ذلك تدهورت أحواله وسعى إلى خرابه وحدد الحضارة حين يتزايد عدد السكان وتزدهر المدن وتكثر الصنائع والحرف وأن ضعف المجتمع نتيجة الانحلال والتباعد: "... قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانتقضت الأحوال و ابذعر الناس في الآفاق من غير تلك الإيالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها فخف ساكن القطر و خلت دياره و خرجت أمصاره واختل باختلاله حال الدولة والسلطان..." (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 287). و أن الحضارة هي بوفرة العمران، فإذا تناقص سكان المصر فمعنى ذلك احتلال العمران. "... أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة والسبب في ذلك أن الملك إنما يكون بالعصبية 1 وأهل العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة وأقطارها وينقسمون عليها فما كان من الدولة

العامة قبيلهما وأهل عصابتها أكثر كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطانا وكان ملكها أوسع لذلك..." (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 163).

ان قوة الدولة كما يشير ابن خلدون تكون في الكثرة والقوة العسكرية التي تحدد هيمنة الدولة تنتج من كثرة الأشخاص القادرين على الدفاع عنها، فيقدر ازدياد العدد تقدر عظمة القوة العسكرية و يقدر امتداد وتوسع الدولة، لذلك كانت العصبية آنذاك تشجع على كثرة النسل وخصوصا على أهمية الذكور التي تنصب على عاتقهم مهمة الحماية والغزو والحرب "تناكحوا، تكاثروا فإنني أباهي بكم الأمم" فتح الباري شرح صحيح البخاري كِتَاب النِّكَاح

يربط ابن خلدون زيادة السكان والنمو الاقتصادي بمرحلة معينة من مراحل حياة الدولة وهي المرحلة التي يسود فيها العدل والأمن وما يتوفر لرعايتها من امن واستقرار وأماكن للعمل وكسب الرزق، أين يعيش المجتمع في رفاه ووفرة "... الملكة رفيقة محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتشطوا للعمران وأسبابه فتوفر ويكثر التناسل وإذا كان ذلك كله بالتدريج فإنما يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الأقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنماء..." (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 301).

يشير ابن خلدون أيضا إلى أن الكوارث الطبيعية والمجاعات والأوبئة تؤدي إلى ارتفاع نسبة الوفيات وهي مرتبطة نتيجة الواقع الذي آل إليه المجتمع عند نهاية الدولة عندما اهتم الحكام باللهو والترف أين تصبح النفقات كبيرة مما يدفعهم إلى الزيادة في الضرائب وتسوء الأوضاع الاجتماعية للعمال، مما يؤدي إلى انحلال العصبية وتكثر المظالم حيث يلجأ عدد كبير من السكان إلى الهجرة والباقيين يصبحون عرضة للمجاعات وسوء الأحوال الصحية وارتفاع نسبة الوفيات الذي يؤدي بدوره إلى انتشار الأمراض والأوبئة، والتلوث الذي سماه ابن خلدون ب " فساد الهواء" الذي يحدث نتيجة كثرة نمو العمران وتلاصقه (البناءات العشوائية).

حوصلة لما سبق يمكن تلخيص المراحل التي يمر بها النمو الديمغرافي إلى مرحلتين على حسب العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تحدث في المجتمع، وهذا حسب ما وضعه ابن خلدون في مقدمته.

المرحلة الأولى : زيادة معدل الخصوبة في المواليد ونقص معدل الوفيات وهي الفترة التي تستغرق للانتقال من طور البداوة إلى طور الحضارة فيزداد عدد السكان وتزدهر الصناعات (خميس طعم الله، 2006). "أن الصنائع غنما تكتمل بكمال العمران الحضري وكثرته " (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص444).

"... أن الترف يزداد الدولة في أولها قوة إلى قوتها والسبب في ذلك أن القبيل إذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومية فكثرت العصابة واستكثروا أيضا من الموالى والصنائع وربيت أجيالهم في جو ذلك النعيم والرفه

فازدادوا به عددا إلى عددهم وقوة إلى قوتهم بسبب كثرة العصابات حينئذ بكثرة العدد..." (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 174).

ذلك أن كثرة التناسل لا تتم إلا بالتشجيع على الزواج المبكر وعدم وضع أي قيود على سن الزواج، ففي مرحلة بناء الدولة تكون هناك حاجة ملحة لعدد كبير من السكان (خميس طعم الله، 2006).

يرتبط التناسل عند ابن خلدون بمسألة شرعية فهي حفظ النسل على الأرض لأداء الأمانة التي كلف بها الله الإنسان. فترف الحياة سبب مباشر في ازدياد النسل أو الخصوبة وذلك من خلال تحسن الأوضاع وتوفير الغذاء.

المرحلة الثانية : في هذه المرحلة يشير ابن خلدون إلى تحول الأوضاع فترتفع معدلات الوفيات نتيجة ظهور الأمراض والأوبئة والاضطرابات التي تنتجها الفوضى والفساد والظلم مما يؤدي إلى انخفاض معدلات المواليد (الخصوبة) مما يؤدي إلى إضعاف نشاط السكان ويشير أيضا إلى أن الظلم هو من الأسباب المؤدية إلى انقطاع النوع البشري حيث يقول "... الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة المراعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال فلما كان الظلم كما رأيت مؤذنا بانقطاع النوع..." (المقدمة ص 288) ونرى ذلك أيضا واضحا في قوله "... فعلا الزرع وعجز عنه أولو الخصاصة فهلكوا وكان بعض السنوات الاحتكار مفقودا فشمل الناس الجوع وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران..." (عبد الرحمن ابن خلدون، 1984، ص 302).

وبذلك نستنتج أن المرحلة الأخيرة من حياة الدولة ونتيجة الظروف والظلم تدخل مرحلة الهدم والانحلال العصبية بما يدفع الناس إلى الهجرة ومسك أيديهم عن العمل والإنتاج (الفلح) مما يؤدي إلى المجاعات وسوء التغذية وانتشار الأمراض مما يؤدي إلى ارتفاع الوفيات وانخفاض الولادات.

المراجع باللغة العربية:

1. حديث شريف : فتح الباري شرح صحيح البخاري " كِتَاب النِّكَاح".
2. ابن خلدون عبد الرحمن (1984): المقدمة، الدار التونسية للنشر، الجزائر .
3. رمزي زكي (1984) : المشكلة السكانية و خرافة المالتوسية الجديدة ،عالم المعرفة الكويت.
4. محمد أبو عبيدة و عبد الحميد محمد شعبان (2008) : تاريخ الفكر الاقتصادي.
5. خميس طعم الله (2006): المسألة الديمغرافية عند ابن خلدون.
6. سمير حليبي: ابن خلدون.. سيرة و مسيرة، <http://criticsamir.blogspot.com>

المراجع الأجنبية:

1. William Mac Guckin(1934) : Les prolégomènes d' Ibn Khaldoune, Première partie, Paris.
2. Gilles MONTIGNY(1997) : **Analyse économique et historique**, prépas économiques et commerciales, Première année, Ed ellipses.

3. Graziella Caselli, Jacques Vallin, Guillaume J. Wunsch (2006) : **Histoire des idées et politiques de population** . Editions de l'institut national d'études démographiques.

الهوامش:

لعصبية عند ابن خلدون: تجمع أفراد القبيلة الواحدة وتكاتفهم وتعاونهم.